

لن نتخذ من الليل جملاً

063

مقالات تنمية - المقالات الاجتماعية

ما زالت الكلمات التي استوعبتها عرصة كربلاء الخالدة في واقعة الطفّ تنير الدّرب وتعلّم الأجيال معاني الحياة وسبيل الرشاد، ومن هذه الكلمات التي أسست لتعزيز ثقافة تحمّل المسؤولية كلمة الحسين (عليه السلام) لأصحابه ليلة عاشوراء والإجابة الخالدة التي سطرها أصحاب الحسين (عليه السلام)، إذ وقف الحسين فيهم خطيباً وبين لهم أنّ القوم يطلبونه، فإذا ظفروا به استغنوا عن طلب غيره، فقال لهم: (أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِي لَيْسَتْ لِي فِي أَعْنَاقِكُمْ بَيْعَةٌ وَ لَا لِي عَلَيْكُمْ ذِمَّةٌ وَ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَأَتَّخِذُوهُ جَمَلًا وَ تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِهِ)، فاجتمع حوله إخوته وبنوه وأصحابه، وأجابوا بكلمة واحدة: ليربقى بعدك؟. وكان لسان حالهم أجمع على تحمّل المسؤولية الكبيرة، وأن يقدموا أنفسهم بين يدي الحسين (عليه السلام) مجزّرين ومقطّعين من أجل القضية التي تحمّلها الحسين (عليه السلام)؛ لتمتزج دماؤهم بدم الحسين الوجيه (عليه السلام)، ويشاركوه في ملحمتة فيخلدوا بخلوده الكبير.

إنّ هذا الموقف النبيل والكبير من أصحاب الحسين (عليه السلام) يمثّل درساً بليغاً في تحمّل المسؤولية. علماً أنّ الحسين (عليه السلام) قد أفرغ ذمتهم من البيعة والذمة؛ ولكن المؤمنين أدركوا خطورة الأمر وعظيم المسؤولية فهموا بتلايب سيوفهم، وتجشّموا عناء ثباتهم وزهدوا عن أرواحهم وأموالهم لما طلبتهم المواقف وأناخت برحلهم الواجبات، فأيقنوا أنّ سبيل الحسين (عليه السلام) هو سبيل الله تعالى، وطاعته هي طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت نفوسهم أقرب إلى التراقي وهم أحياء وقلوبهم أثبتت من الجبال وهم قلّة في وسط القوم يرتجزون الشعر وقد انفتحت قريحتهم للدفاع عن الحق وأهله.

تاركين خلفهم الدنيا بزینتها والحياة بهنائها؛ ليخلدوا في سجل مجانين الحسين وعشاقه، وليعلموا الإنسانية أصول القيام ولون الحركة التي تكون من أجل الإصلاح وبناء الإنسان وسلامته لأمر الدين والدنيا والآخرة.

إنَّ تحمّل المسؤولية يستلزم الشجاعة والمروءة، وعلى الجميع أن يعي أن المسؤولية مناطة به، وليس هناك من خلق عبثاً، أو وجد ليكون رقماً إضافياً في عدد البشر؛ بل كل فرد يمثّل بذاته خليفة لله في أرضه، وقد حمّله سبحانه وتعالى مسؤولية معينة بقدره. فالمسؤوليات متباينة ومختلفة، ولكن ليس لأحد أن يتنصّل منها، أو يتخلف عنها، فكلُّ يتحمّل الجزء ليستقيم الأمر للجميع. وأمّا إذا تخلفنا عن أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليات فسوف نتحمّل جميعاً مسؤولية الفشل وليس لأحد أن يدفع عن نفسه إثمها وآثارها.

وقبل أن نختم المقال نقول إن منهج الحسين (عليه السلام) وأصحابه مدرسة لمن يريد أن يتزوّد لدنياه وآخرته، ولاسيما الأخوة الذين تبوّؤوا المسؤولية في هذا الزمن الذي تغيّرت فيه القيم والمبادئ، فقد تكون مسؤوليتهم مضاعفة أمام المغريات والتحديات التي تحول بيننا وبين الإصلاح. فقد تربّع الفاسدون على مقدرات الناس، وأصبحوا يبذلون كل شيء من أجل الاستمرار في بقائهم مسلّطين؛ لذلك علينا جميعاً - وكلّ من مقامه - العمل على تحمّل المسؤولية وكشف الفاسدين ومحاربتهم ولاسيما هؤلاء الذين باعوا آخرتهم بدنيا الشيطان الأكبر فكأثمهم أدواته؛ ليبقى الوضع على ما هو عليه من الفساد في مختلف مؤسّسات الدولة، والجهات الرقابية عليهم الدور الأكبر. فينبغي عليهم أن يتعلّموا من أصحاب الحسين (عليه السلام) ويتحمّلوا مسؤولياتهم بوعي تامّ ولسان حالهم يقول لن نتخذ الليل جملاً للهرب من المسؤولية، والله ولي التوفيق.